

أضواء البيان

@ 131 @ لَمْ تَأْتِهِمْ بِدِينَةٍ مَا فِي الصُّحُفِ إِلَّا وَلَيَ { كما أوضحنا .
والعلم عند الله تعالى . ويزيد ذلك إيضاحاً الحديث المتفق عليه : (ما من نبي من الأنبياء إلا أوتي ما آمنَ البشر على منْذله ، وإنما كان الذي أُوتيته وحياءً أوحاه الله إلي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابِعاً يومَ القيامةِ) وفي الآية أقوال آخر غير ما ذكرنا . قوله تعالى : { وَلَوْ أَنزَلْنَاهُ كُنْزًا هُمْ بِهِ كَذَّابِينَ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوَلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلُ أَلَمْ نَكُذِّبْ } . قد قدمنا في سورة (النساء) أن آية (طه) هذه تشير إلى معناها آية (القصص) التي هي قوله تعالى : { وَلَوْ أَن تَصِيبَهُمْ مَّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمْتُمُ أَيْدِيَهُمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوَلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونُ مِنَ الْهَادِينَ } وأن تلك الحجة التي يحتجون بها لو لم يأتهم نذير هي المذكورة في قوله تعالى : { لَنَكُونَنَّ يَكُونَنَّ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بِعَدِّ الرَّسُولِ } . فقوله تعالى : { قُلْ كُلُّكُمْ مُّتَّبَرِّصٌ فَتَتَرَبَّصُوا } . أمر الله جل وعلا نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية الكريمة : أن يقول للكفار الذين يقترحون عليه الآيات عناداً وتعذُّباً : كل منا ومنكم متربِّص ، أي منتظر ما يحل بالآخر من الدوائر كالموت والغلبة . وقد أوضح في غير هذا الموضع أن ما ينتظره النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه والمسلمون كله خير ، بعكس ما ينتظره ويتربص الكفار . كقوله تعالى : { قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْأُسْتَشْيَافِ وَنَزَحْنُ نَتَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَتَرَبَّصُوا إِنَّنَا مَعَكُمْ مُّتَتَرَبَّصُونَ } ، وقوله : { وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَخَذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَتَرَبَّصُ بِكُمْ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةٌ } ، إلى غير ذلك من الآيات . والتربص : الانتظار .
قوله تعالى : { فَسَتَعْلَمُونَ مَنَ الْأَصْحَابِ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى } . ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة : أن الكفار سيعلمون في ثاني حال مَن أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى . أي وفق لطريق الصواب والديمومة على ذلك . وأمر نبيه أن يقول ذلك للكفار . والمعنى : سيتضح لكم أنا مُهتدون ، وأنا على صراط مستقيم ، وأنكم على ضلال وباطل . وهذا يظهر لهم يوم القيامة إذا عاينوا الحقيقة ، ويظهر لهم في الدنيا لما يرونه من نصر الله لنبيه صلى الله عليه وسلم .

